الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : نظرية الرواية
ليسانس السداسي السادس
تخصص: دراسات نقدية
إعداد : أ.د محمد ملياني
العام الجامعي 2026/2025

محاضرات في نظرية الرواية

المحاضرة 15: رواية السيرة الذاتية

رواية السيرة الذاتية:

شهدت الكتابة السردية المعاصرة تحولات نوعية مست بنية الأجناس الأدبية وحدودها، ومن أبرز هذه التحولات ظهور ما يُعرف بـ"رواية السيرة الذاتية " (Autofiction)، بوصفها شكلاً هجينيًا يجمع بين المرجعي والتخييلي. فهي لا تكتفي باستعادة التجربة الشخصية كما حدثت، بل تعيد تشكيلها داخل بناء سردي يخضع لقوانين الفن الروائي وتقنياته. ومن ثمّ، تتحول الحياة الفردية من مادة واقعية إلى بنية دلالية تُعاد صياغتها وفق وعي الكاتب وتأويله اللاحق لذاته.

وانطلاقاً من هذا الطابع المركّب، تطرح رواية السيرة الذاتية إشكالية مركزية تتعلق بطبيعة الحقيقة التي تنتجها :**هل تظل وفية لميثاق السيرة الذاتية القائم على التطابق بين الواقع والنص، أم تؤسس لنوع جديد من الصدق، قوامه التجربة الشعورية والمعنى؟**

أولاً: المفهوم والإطار النظري

تُعرّف رواية السيرة الذاتية بوصفها نصاً سردياً يتقاطع فيه اسم المؤلف مع اسم الشخصية الرئيسية، غير أنه لا يلتزم بما صاغه Philippe Lejeune تحت مسمى "ميثاق السيرة الذاتية"، والذي يقوم على تعهّد ضمني من الكاتب بمطابقة السرد للوقائع الحياتية.

غير أن هذا الجنس الأدبي، كما نظّر له Serge Doubrovsky، يتجاوز هذا الميثاق ليؤسس "ميثاقاً تخييلياً"، يسمح بإعادة بناء التجربة عبر الحذف، والإضافة، وإعادة الترتيب، بما يخدم الرؤية الفنية[2].

وفي هذا السياق، لا تُفهم الذاكرة بوصفها مخزناً محايداً للأحداث، بل كآلية تأويلية تُعيد تشكيل الماضي وفق وعي الحاضر. فالتجربة لا تُستعاد كما هي، بل تُبنى من جديد داخل النص، مما يجعل الكتابة فضاءً لإنتاج المعنى، لا مجرد نقل للوقائع

ثانياً: البناء الفني لرواية السيرة الذاتية

1. تنظيم الفوضى الزمنية

تتسم الحياة الواقعية بالتشتت وعدم الانتظام، غير أن النص السردي يعيد ترتيب هذه الفوضى ضمن بنية دلالية. فالكاتب لا يلتزم بالتسلسل الزمني الخطي، بل ينتقي لحظات مفصلية تُشكّل نقاط تحول في مسار التجربة، وقد يبدأ من لحظة أزمة ليعود إلى الماضي، أو يضخم حدثاً بسيطاً ليمنحه دلالة مركزية.

2. الراوي المزدوج وثنائية الأنا

يقوم هذا الجنس على تداخل مستويين من الذات:

- أنا الماضي: التي عاشت التجربة
- أنا الحاضر: التي تعيد تأويلها

وهذا التداخل يخلق توتراً سردياً، حيث يتحول النص إلى فضاء حواري بين التجربة كما عُيشت، والتجربة كما فُهمت لاحقاً.

3. المسافة الجمالية (الاغتراب الذاتي)

يقتضي نجاح هذا النوع قدرة الكاتب على خلق مسافة نقدية بينه وبين ذاته، بحيث لا يكتفي بسرد التجربة من الداخل، بل ينظر إليها بوصفها موضوعاً للتأمل. هذه المسافة تحوّل الاعتراف من تبرير إلى مساءلة، ومن تجربة فردية إلى بناء قابل للتأويل.

4. الحقيقة الأدبية مقابل الحقيقة الواقعية

لا تُقاس قيمة النص بمدى مطابقته للواقع، بل بقدرته على التعبير عن جوهر التجربة. فالحقيقة هنا ذات طبيعة دلالية وشعورية، وقد يلجأ الكاتب إلى تغيير الوقائع الجزئية مقابل الحفاظ على الصدق العميق للإحساس.

ثالثاً: نماذج تطبيقية

1.في الأدب العربي

يُعد كتاب الأيام لـطه حسين نموذجاً بارزاً، حيث يعتمد ضمير الغائب ("صاحبنا")، مما يخلق مسافة فنية تسمح بإعادة قراءة تجربة الطفولة والمعاناة ضمن أفق معرفي وتنويري.

أما الخبز الحافي لـمحمد شكري، فيمثل نموذجاً للكتابة الاعترافية الجريئة، حيث تتحول السيرة إلى أداة لفضح الواقع الاجتماعي وكسر المحظورات، مع توظيف مكثف للبعد الجسدي والمعاناة.

2.في الأدب العالمي

في رواية A Portrait of the Artist as a Young Man لـJames Joyce، تتجلى سيرة التشكّل الذاتي بوصفها مساراً لتكوين الوعي الفني والفكري، حيث تتداخل التجربة الشخصية مع المشروع الإبداعي.

كما يشكل مشروع Marcel Proust الروائي مثالاً فريداً على استعادة الزمن عبر الذاكرة، حيث تتحول التجربة الماضية إلى حضور متجدد داخل الوعي، لا إلى زمن منقضٍ

رابعاً: خصائص رواية السيرة الذاتية

- **الصدق الشعوري :**التركيز على تجربة الإحساس لا دقة الحدث
- **تحليل الهوية :**النص بحث مستمر في سؤال الذات
- **تداخل الواقع والتخييل :**استخدام تقنيات الرواية في كتابة السيرة
- **إعادة بناء الذاكرة :**تحويل الماضي إلى بنية دلالية

خامساً: إشكالية التلقي

تضع رواية السيرة الذاتية القارئ أمام وضع تأويلي مركّب، إذ يتأرجح بين اعتبار النص اعترافاً صادقاً وعملاً تخييلياً. وهذا التوتر لا يُعد خللاً، بل هو مصدر قوة النص، إذ يدفع القارئ إلى المشاركة في إنتاج المعنى، وإعادة بناء العلاقة بين الحقيقة والتخييل داخل أفق قرائي مفتوح.

إن رواية السيرة الذاتية تمثل تحولاً نوعياً في الكتابة السردية، حيث تنتقل من مجرد تسجيل الحياة إلى إعادة خلقها فنياً. فالكاتب لا يستعيد الماضي كما كان، بل يعيد تأويله وفق وعي الحاضر، مما يجعل النص فضاءً لإنتاج المعنى، لا مجرد وعاء للذاكرة. وبهذا، تتحول الذات من موضوع للسرد إلى مشروع للتفكير، ومن تجربة فردية إلى أفق إنساني مشترك.

الهوامش

1. Philippe Lejeune ،*Le Pacte autobiographique* ،1975.
2. Serge Doubrovsky ،*Fils* ،1977.

قائمة المراجع

- Philippe Lejeune ،*Le Pacte autobiographique*1975 ،باريس ،.
- Serge Doubrovsky ،*Fils*1977 ،باريس ،.
- طه حسين، *الأيام*، دار المعارف .
- محمد شكري، *الخبز الحافي*، دار الساقي .
- James Joyce ،*A Portrait of the Artist as a Young Man*.
- Marcel Proust ،*À la recherche du temps perdu*.